(المدى) في الحبانية مع أكثر من (٦٠) ألف إنسان عراقي فرّ من الموت

نازحو الفلوجة بين هموم العيش وحلم العودة إلى الديار

(١٢) ألف عائلة تعيش ظروفاً صعبة ، والحاجة ملحة للعناية الطبية والأدوية

صافي الياسري

استمرار المعارك والقصف المتواصل ولد سلوكيات غريبة لدى (الطيور) فأخذت تحفر مخابئ لها في الأرض!

حين دخلنا إلى المدينة السياحية في الحبانية للوقوف على واقع حال عوائل الفلوجة النازحة إليها ، لم نكن نعلم إننا أول بعثة صحفية تدخل المدينة.. لكن أكثر ما أثار استغرابنا هو تأكيد الجميع هنا ان ليس ثمة أي وجود حكومي بأي شكل من الاشكال.

على أي حال، وبرغم مصاعب الطريق ومشاقه ومخاطره، استطعنا ان نتواصل وجدانياً وميدانياً مع شريحة من أبناء هذا الوطن وقعت من حيث تدري أو لا تدري بين سندان الإرهاب ومطرقة القوة العسكرية الأمريكية.

مصاعب الوصول

أوهي مخاطر الطريق، فالمسلحون والطرف الحكومي المكون من الحرس الوطني والشرطة إضافة إلى القوات المتعددة الجنسيات يتناوبون امساك بعض اجزائه ويخشى سائقو سيارات النقل (الصالونات) التعامل مع الصحفيين، إذ ربما استهدفهم (الجميع) بسبب التصوير في منطقة غير محسوبة منع التصوير فيها حسب اجندة أي طرف أو بسبب الشبهة، وربما كان هذا هو السبب في عدم إقدام الصحفيين العراقيين على سلوك الطريق المؤدية إلى مناطق التوتر والحدث الساخن والبيئة المطلوب معرفة همومها وهي مهمة الصحافة والصحفيين.

لكننا في (المدى) تجاوزنا كل ذلك بروح هاجسها الأول نقل (الهم العراقي) من كل مكان على ارض العراق بغض النظر عن هويته وظروفه إلى عموم العراقيين، وان امكن إلى الإنسانية اجمع.

ريف جميل ولكن!

الطريق السريع إلى الفلوجة ومن ثم إلى الحبانية مغلق، وكذلك عدد من الطرق الفرعية، وبدءاً من الخطوة الأولى خلف منطقة (أبو غريب) التي حملت جدران احدى مدارسها شعارات شديدة الحدة ضد رئيس الوزراء العراقي والحرس الوطني، مما دفعنا إلى سلوك طريق جانبي يمر من خلف اسالة ماء (أبو غريب) أو ما يسمى (بالمشروع) مرورا بحي الرسالة لسلوك طريق الزيدان حتى تقاطع الرضوانية الشرقي وهو طريق يخترق ريفاً عابقاً بالخضرة ومن لم يره، لم ير جمال الريف العراقي وهنا تزرع البطاطا، والخس، والسلق، والجزر، على نطاق واسع والخضرة التي تضفيها هذه النباتات على ارض البساتين بجوار الانهار والسواقي والجداول تنبض في القلب بهجة وسكينة ما تلبث ان تحولها إلى خوف وتوتر مفارز المسلحين ذوي الأسلحة العمياء التي لا يهمها من تصيب! ومداهمات الأمريكان الاعتباطية لبيوت غافية تحت دخان مواقد عادت إلى الوجود بسبب شحة المنتجات النفطية وانقطاع التيار الكهربائي.

ومن السهل ان يكتشف المرء هنا الموقف غير الودي السائد تجاه الشرطة وعناصر الحرس الوطني، فأغلبية سكان هذه المنطقة هم من العناصر التي كانت تعمل في أجهزة الأمن والشرطة والحرس الجمهوري والجيش والمخابرات السابقة، وهم يشعرون ان هؤلاء احتلوا مقاعدهم ومواقعهم.

طيور غريبة الأطوار

انحرفنا إلى طريق ترابي يقطع أراضي (البوعيسى)، واراضي الشيخ محمد الدحل، وفرحان الظاهر، و(البوعيفا)، ثم (البوصالح). ويشكو سكان هذه المناطق من توقف مشروع (أبو غريب) عن ضخ مياه الشرب إلى مناطقهم، مما أجبرهم على شرب مياه الجداول الملوثة، أو شراء المياه من مناطق أخرى، ويلفت نظرك السائق إلى ألوان الطيور التي تعاشر هذه الأرض وماءها فثمة الحذاف ودجاج الماء الذي يصطاده سكان المنطقة بالشباك، وهناك الهدهد الجوال وبنت الشيخ الجميلة، والقبج، واللقلق، وألوان الطيور التي صارت تسلك الآن سلوكيات غريبة عنها، فهي تحفر مخابئ في الأرض تلجأ إليها عند حدوث الانفجارات، كما كف اللقلق عن بناء عشه على اعمدة الكهرباء ويقول السكان ان القوات متعددة الجنسيات اشاعت الخوف في نفوس طيور الشتاء مما دفعها إلى هذه السلوكيات.

نعبر نهر الفرات من على جسر (بزيبز) وهو جسر يذكر عابره بعصر (الدوبة) فقد ربطت مجموعة من (الدوب) إلى بعضها وفرش ظهرها (بليتات الحديد) والخشب، ومن بعد الجسر نسلك طريقاً ترابياً آخر يمر عبر قرية (الجفة) وقرية (الموبلحية) وقرى أخرى تسكنها عشيرة (البو عيسى) ويتهمها الأمريكان أنها مصدر اضطراب مستمر وان رجالها يقطعون الطريق، فتنظم قواتهم الجوية والبرية دوريات مستمرة فيها.

وعلى مدخل قرية (الجفة) يمكنك ملاحظة بقايا طائرة اميركية من نوع (شينوك) اسقطها المسلحون في اشتباكات سابقة ويثير انتباهك خط دخان وشح سماء المنطقة خلفته قاصفة اميركية، وتوجد هنا مدرسة (أبو فراس الحمداني الابتدائية) التي تم تحويل صفوفها وغرفها إلى مساكن لعوائل الفلوجة النازحة وألغيت الدراسة فيها لهذا العام، وبعد عبور ناحية العامرية باتجاه الحبانية شاهدنا دخاناً كثيفا بتصاعد من الشرق، أكد السائق انه من مدينة الفلوجة التي أصبحت على يميننا ونحن نقطع فيافي وتلال بادية الشامية التي اوصلتنا إلى موقع خلف المدينة السياحية مقطوعي الانفاس.

(١٢) ألف عائلة في الحبانية

هنا حدثنا المسؤول الاعلامي للمدينة السيد كريم الدليمي عن وضع المدينة حالياً، فأشار إلى أنها كانت تعمل إلى وقت ليس ببعيد وتستقبل (العرسان) من كل مكان في العراق، وحين بدأت احداث الفلوجة استقبلت عدداً يسيراً من النازحين ما لبث ان تزايد حتى صار (١٢) ألف عائلة، وفي البداية كانت العوائل تدفع مبلغ الايجار المحدد للدار وقدره ثمانية وعشرون ألفاً، وخفضناه بعد مدة إلى النصف، وفي رمضان الماضي استحصلنا موافقة الجهات المختصة فألغيت الايجارات.

وفرة غذائية

ويضيف الدليمي ان المدينة السياحية وملاكها يوفرون جميع الخدمات للنازحين، وقد تم التنسيق مع جهات عديدة لتقديم هذه الخدمات وزيادتها، فوزارة الزراعة مثلاً قدمت لكل عائلة كيساً من الرز (٥٠ كليو غراماً) وقامت جمعية الهلال الاحمر وما زالت بتوزيع كميات كبيرة من انواع الاغذية والفرش والبطانيات وكذلك فعلت جمعية اطباء بلا حدود، وتلقى النازحون مساعدات عديدة من دائرة الوقف السني وهيئة علماء المسلمين والوكالة الإسلامية للاغاثة وجمعيات وجوامع وشيوخ عشائر وتجار وشخصيات عراقية وعربية واسلامية، حتى تكدست المواد ولم يتمكن النازحون من خزنها داخل بيوتهم. ويمكنك ان ترى امثال هذه المواد مكدسة قرب أبواب الدور التي يسكونها، إضافة إلى مواد البطاقة التموينية التي بدأت العوائل والوكلاء بتسلمها من محافظة الانبار. أؤكد انه لا نقص في المواد الغذائية، وبقية الخدمات نقدمها على أعلى مستوى، لكن النازحين هم الذين خلقوا سوقاً سوداء للوقود والمواد الغذائية فهم لا يكتفون ويطلبون المزيد ويقوم بعضهم ببيع ما يحصل عليه.

بيوت ومخيمات

اما قصة البيوت مخلوعة الابواب والشبابيك التي سكنها النازحون، فهي بيوت لم يتوفر لنا في الاساس الرصيد الكافي لاتمام تزويدها بالابواب والشبابيك والاثاث المطلوب، وقد سكنتها اعداد قليلة من العوائل التي جاءت متأخرة، الاكثرية فهم يسكنون دوراً سياحية مؤثثة وفيها كل الخدمات المنزلية المطلوبة على أعلى مستوى، وهناك أيضاً (٢٥٠) خيمة جلبتها جمعية الهلال الاحمر وتم نصبها في حدائق المدينة، وقد سكنت بعضها أكثر من عائلة واحدة بسبب كبر حجمها.

وحول انتشار بعض الامراض بين النازحين، قال الدليمي: تم التنسيق مع دائرة صحة الانبار وبعثوا لنا ملاكاً طبياً وزادوا من حصة الأدوية المخصصة لمستوصف المدينة الذي يديرها الدكتور رياض، ومع ذلك ثمة حاجة للمزيد.

انهم يسرقون المساعدات!

النازح ياسر طه العبيدي، أو النازح الأول إلى المدينة السياحية كما عرفه مسؤول الاعلام افتتح (جمبراً) في احد طرقات المدينة يبيع العطور والحلي الفضية والخواتم، فهو صاحب محل كماليات في المدينة ولم ينس مهنته الاصلية هنا، يقول: قدمت إلى المدينة قبل خمسة أشهر في الهجوم الأول عليها، ولحق بي الكثيرون حتى وصل عددنا إلى (١٢) ألف عائلة، اقول لك: ان المواد الغذائية والمساعدات المتبرع بها تصل إلى المدينة السياحية لكنها لا تصلنا، وأنا اتهم اللجنة المشرفة على توزيعها بسرقتها وبيعها خارج المدينة.

الفلوجة مدينة اغتالها الارهاب، بعد ان استغل كرم اهلها وكراهتهم للمحتل وتداخل الخنادق والاعيب سياسية وسذاجة البعض من اهلها في الاتجاهات كلها.. واليوم وبعد اكثر من شهرين على آخر نزوح من المدينة لا تزال الامنية الأولى لاهلها هو ان يعودوا الى مدينتهم مهما كان حالها فقد طالت هذه الغربة التي لم يألفوها..ونعتقد ان من صميم واجب الحكومة ان تؤمن لهم ذلك في وقت قصير، ليتم اصلاح ما افسده الارهاب والعمليات العسكرية على حد سواء.

متى نعود؟

النازحة- هيام حاتم، سيدة في الخمسين من عمرها ولها عشرة (اولاد وبنات)ويسكنون جميعاً خيمة واحدة لا تزيد مساحتها عن ٤× ٣ متر، تقول:

- ما مصيرنا؟ هل تسأل الحكومة العراقية نفسها هذا السؤال؟ اذا كان صدام خلف المقابر الجماعية فما الذي يريد ان يخلفه من تلاه؟ نحن نرتعد ليلاً من شدة البرد والرطوبة التي تسببها البحيرة التي نصبت خيامنا بجوارها، والاغطية التي تبرع بها لنا الخيرون غير كافية، ورجالنا عاطلون عن العمل، فمتى سيسمحون لنا بالعودة؟ نريد ان نعود حتى لو نصبنا على انقاض دورنا هذه الخيام، نريد العودة الى ديارنا، وهذا نداء اوجهه كعراقية نكبت بمغادرة بيتها مضطرة الى جميع الاطراف، لقد شبعت الماً وجوعاً وبرداً فمتى ستنتهي هذه المصيبة، حسبي الله ونعم الوكيل.

- النازحة انعام عبد الرزاق وضعت طفلها خارج الخيمة في العراء لانها تطبخ داخل الخيمة ولا تريده ان يختنق بغاز (الجولة) النفطية التي وزعتها المنظمات الانسانية على النازحين ويقول بعضهم: انها تسببت في احراق بعض الخيام.

أصيب صغاري بالجرب ولا علاج!

النازحة كريمة مزهر محسن قالت: اصيب صغاري بالجرب ولا علاج، والاطباء الذين قدموا الينا يقفون قرب الحصول على (صوبة).

النازحة ليلى محمد العيساوي: لا نريد شيئاً من احد ، نريد العودة الى مدينتنا حتى وان لم يعد فيها سوى حجر على حجر، نريد بيوتنا وان كانت انقاضاً فقد سمعنا ان عمال التنظيف الذين جلبهم الامريكان الى المدينة لتنظيف شوارعها من الانقاض التي سببها قصفهم لدورنا ومحلاتنا، سمعنا انهم سرقوا اثاث دورنا ومحتوياتها كما سرقوا محتويات المحال.

النازح ابراهيم مجبل العيساوي قال لي: اين الحكومة؟ اين الاعلام؟ انت الان في سوق المدينة السياحية الذي افتتحه اصحاب المهن الضرورية لوجبة الطعام التي اعتادوها سابقاً سوى اشخاص قليلين جداً ونحن نعرف السبب فمعظم العوائل لم يعد لديها ما تنفقه كما ان افرادها من دون عمل، هل لك ان توصل صوتي الى اياد علاوي وتسأله لماذا لا يهتم بنا؟ وهل لك ان تسأل الصحف العراقية وقنوات التلفزيون لماذا لم تأت الينا وتنقل معاناتنا الى بقية العراقيين، انت الصحفي العراقي الوحيد الذي وصلنا، فهل هذا معقول؟

سنتحول الى(ارهابيين)!

النازح سعد عبد الحميد الكبيسي قال: انا الناجي الوحيد من ٦٠ شاباً قرروا شككت في نزاهة القائمين على توزيع المساعدات بقولها:

- اية وفرة يتحدثون عنها في المواد الغذائية؟ ان المكاتب السياحية والموظفين السياحيين هم الذين يستولون على هذه المواد بحجة توزيعها وخصوصاً الدجاج واللحوم، اما نحن في الخيام فلا نحصل حتى على أذن البعير التي ضربوا بها المثل، اذا كان اصحاب البيوت يحصلون عليها.

- السيد كريم الدليمي- احد اعضاء اللجنة المسؤولة عن توزيع المواد والمساعدات، يقول: هم لا يشبعون وخاصة هؤلاء النسوة، ويقولون عنا اننا لصوص في الوقت الذي نوزع بينهم كل ما نحصل عليه ولكن كما قلت لك هم يبيعون ما نعطيهم ويطالبون بالمزيد.

النازح طه مسلم العبيدي سلط بعض الاضواء على ما يحدث في الخفاء بقوله: اقول الحقيقة، ان كميات الاغذية والمساعدات الواصلة وافرة، لكنها تتعرض للسرقة من عصابات من النازحين انفسهم، وهم الذين نسميهم (اصحاب الكيات) وهؤلا يقومون ببيع هذه المواد خارج المدينة، فهنا يباع لتر البنزين بـ (٢٥٠) ديناراً وهو في بغداد بـ ٤٠٠ وقنينة الغاز بألفي دينار وهي في بغداد بستة آلاف، نحن نتمتع بوضع جيد والحق يقال، لكننا لا نريد كل ذلك ونريد العودة الى بيوتنا وخروج الامريكان والحرس الوطني منها.

وضع بائس

النازح سالم بعيد العيساوي تحدث عن هموم اخرى تشغل الكثيرين هنا قائلاً: الدور لا تكفي النازحين ولا الخيام، الدار المكونة من حجرتين تسكنها عائلتان او ثلاث وكذلك الخيام.

ولدى هذه العوائل شباب من الجنسين مما يثير حرجاً شديداً، وهناك بيوت لا ابواب لها ولا شبابيك، وسكنت العوائل مطاعم الفندق السياحي وغرفه ومنشآته واستخدمتها بالرغم من ضيق بعضها للطبخ والعيش والنوم، نحن في وضع بائس وليس لنا من امل سوى العودة الى بيوتنا فإلى متى يمنعنا اياد علاوي؟

النازح محسن محمد كريم العبيدي ربط معاناتهم بمسألة الانتخابات القادمة ..يقول: ويحدثونك عن الانتخابات، اية انتخابات يمكن الحديث عنها ونحن في هذ الوضع؟

النازحة سليمة خلف العيساوي تحدثت عن معاناة عوائل المخيمات بسبب البرد والمطر قائلة: نحن نعاني كثيراً هذه الايام بسبب اشتداد البرد لا سيما في الليل حين يهب علينا هواء البحيرة، ولا تتمكن الخيام البسيطة التي وزعت بيننا من صده، وحين امطرت قبل ايام نقعت الخيام وصارت دواخلها اشبه بثلاجة وقد اصيب اطفالنا اثر ذلك بالبرد والاسهال.

حكومة غائبة

ونحن ندلي بشهادتنا هنا، فقد رأينا بؤس الحال الذي يعيشه النازحون لا سيما في المدينة السياحية في الحبانية، اذ ليس جميع وكلاء المواد الغذائية يجلبون حصصهم ويوزعونها بين النازحين، فقد تشتتوا هم ايضاً، كما ان المواد الغذائية (فعلاً) ليست كافية حقاً، وثمة من يسرقها ولا احد يحقق في الامر، فالحكومة لا وجود لها هنا، وليس ثمة من يمثلها، هذا على الرغم من ان المساعدات الواصلة كافية وتزيد، ولا وجود لرعاية صحية كافية، فثمة طبيب واحد يدير مستوصفاً يفترض به رعاية نحو ستين الف نازح، كما توجد كمية كافية من العلاجات باعتراف مسؤولي المدينة السياحية وخاصة لذوي الامراض المزمنة، ولم تبعث دائرة صحة محافظة الانبار ما يعزز هذه الرعاية حسب طلب المسؤولين.

الجرب يصيب الاطفال

لقد تفشى داء الجرب فعلاً في عدد من الاطفال، شاهدناهم وصورناهم، ولا يستطيع الجميع شراء الوقود بسبب انقطاع ارباب هذه العوائل عن العمل وعدم توفر النقود الكافية، ما يعني احياناً عدم قدرتهم على طبخ الطعام، وهناك عدد كبير من العوائل وبخاصة تلك الساكنة في الخيام ليست لديها وسائل تدفئة ولا تستطيع شراءها ، وثمة سؤال مرير وملح يطرحه الجميع هنا، متى نعود؟ ولم لا نعود الآن؟ وهم يوجهونه ليس فقط الى الحكومة العراقية والقوات متعددة الجنسيات وانما ايضاً الى المسلحين الذين استوطنوا ميدنتهم.

في مجمع العامرية

اما مجمع العامرية السكني، فهو احسن حالاً بكثير من حال المدينة السياحية في الحبانية وان تشاركت العديد من العوائل السكن في دار واحدة، ذلك ان هذه الدور رحبة وتحتمل المشاركة ولا توجد هنا خيام، والامور منظمة بشكل جيد بالنسبة للمساعدات والوقود، لكن ذاكرة بعض عناصره كانوا يسيئون معاملتهم ولا يحترمون النساء، ويذكرون لهم اقتحام مسجد مجمع العامرية وكسر زجاجه.

من كل ما اسلفنا ندرك ان انصراف الحكومة العراقية المؤقتة للاهتمام بأمور النازحين امر يفرضه حق المواطن العراقي على حكومته في الحفاظ على حياته وكرامته.

الاستسلام قرب جامع الحضرة المحمدية، بعد ان وعدتهم نداءات القوات الامريكية بالعفو حال الاستسلام، لكنهم ما ان تجمعوا في المكان المقرر حتى قصفتهم الطائرات وقتلتهم جميعاً.

النازح خميس خلف العيساوي: لدي ولد معوق يمشي على عكازتين وكان يريد مغادرة الدار وهو يرفع العلم الابيض فقصفته دبابة امريكية ولصقت بقاياه بحطام الدار التي هدمتها قذائف تلك الدبابة، اقول لك بصراحة ان عدداً من شبابنا تحولوا الى مقاتلين، ا والوضع اذا استمر طويلاً هكذا سنتحول جميعاً الى (ارهابيين) حسب تسميتهم. على الحكومة ان تهتم بنا وان تفكر جدياً بإعادتنا الى مدينتنا.

اين أذن البعير؟

النازحة سلوان فرج العيساوي

سياراتهم ويقدمون فحصاً على الرصيف من دون ادوية فليس ثمة صيدليات وانا اسكن خيمة فيها عشرة اشخاص وهي رطبة وباردة فنحن لم نستطع المختلفة لتلبية حاجات سكان المدينة من الخضار واللحم والاسماك، ولكنك ترى ان مدينة يسكنها ٦٠ الف نسمة لا يحضر منهم لشراء المواد